عيون الأنباء

في

طبقات الأطباء

عيون الأنباء
في
طبقات الأطباء

تأليف

موفق الدين أبي العباس أحمد بن
القاسم بن خليفة بن يونس السعدي
الخزرجي المعروف بـ

ابن أبي أصيبعة

شرح وتحقيق

الدكتور نزار رضا

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

ابن أبي أصيبعة

من اطباء العرب المعروفين وادبائهم المرموقين رجل ترجم في كتاب واحد ، لم يؤلف غيره ، اطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه . انه موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعه السعدي الخزرجي .

ولد موفق الدين في مدينـــة دمشق في عام ٦٠٠ للهجرة في بيت علم وأدب ، فقد كان والده من امهر الكاحلين (اطباء العيون) في دمشق .

وبعد ان اتقن العلوم اللسانية على علماء زمانه انصرف الى تلقي علوم الطب عن والده ولكنه رأى ان ما يحسنه والده لا يشفي غليلاً فانصرف الى تلقي العلوم التي تبحث في شتى امراض العيون على كل من يحسنها . وكانت القاهرة في عهده منتهى السبل وملتقى العلماء ، والدولة الأيوبية في عز مجدها وسؤددها . فسافر الى القاهرة والتحق في المارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين في القاهرة وأخذ يعمل ليلاً نهاراً على تحصيل العلم فاشتهر بذكائه وحسن مداواته لامراض العيون واستلفت نبوغه الجالس على كرسي الملك فألحقه بخدمة الدولة .

لكن شهرته وصلت الى اسماع عز الدين وهو في صرخد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل في طلبه ، فرحل اليه واعجبه مناخ صرخد فمكث فيها حتى وافته المنية عام ٦٦٨ للهجرة .

وقد ترك ذكراً خالداً ومؤلفاً ضخماً ألفه لامين الدولة وزير الملك الصالح وهو أحسن كتاب في التراجم لا يشبهه الا كتاب اخبـــار الحكماء لكنه يمتاز عليه بانه اوسع وأوفر مادة جمعه وقاسى في جمعه الصعاب وقضى السنين الطوال محققاً ومدققاً حتى تمكن من تأليف كتابه هذا وقد اسماه عيون الانباء في طبقات الاطباء .

ابتدأ بترجمة كبار الاطبـاء زمن الاغريق والرومان والهنود ، وقسمه الى عدة اقسام وهو يحوي ما ينوف عن ٤٠٠ ترجمة .

ترجم أولاً اطبـــاء اليونان وغيرهم . وهو لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويذكرها . ولا يكتفي بذكر ما قام به المترجم له من اعمال بل يأتي على شيء من آرائه في الطب لكنه لا يذكر سنة الولادة ولا سنة الوفاة على انه اذا تمكن من معرفة سنة الوفاة ذكرها والا تكلم عن صاحب الترجمة ذاكراً ما وصل اليه. ويذكر ايضاً ما ألفه المترجم له من كتب أو ما نقله الى اللسان العربي من الكتب يذكرها بوضوح ويتكلم عنها بمعرفة .

ثم يتكلم عن الاطباء العرب والعجم والهنود والمغرب وأطباء مصر والشام كل قطر على حدة . ويذكر في كتابه الكثير من الشعر العربي الذي نظمه الاطبـــاء الذين ترجم لهم ، وترى بين التراجم عدداً كبيراً من المشاهير الذين لم يعرفوا بانهم اطباء ، لكنك حين تقرأ كتاب ابن ابي اصيبعة تعلم عند ذلك ان هؤلاء كانوا اطباء الى جانب كونهم ادباء أو شعراء أو من مشاهير الصوفية .

وقد استلفت هـــذا الكتاب نظر الافرنج فتتبعوه وقام المستشرق الالماني مولر بطبعه نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليهما وذلك في عام ١٨٨٤ وفي عام ١٢٩٩هـ قامت المطابع المصرية بطبع الكتاب نقلاً عن طبعة المستشرق مولر وهي الطبعة الاولى والوحيدة من هـــذا الكتاب وقد اصبحت نادرة الوجود .

ولا شك ان العالم العربي سوف يقبل على اقتنـــاء هذا الكتاب الفريد في نوعه والذي لا تقدر المعلومات التي يحتويها بثمن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناشر الامم ومنشر الرمم ، باريء النسم ومبريء السقم ، سعائد من فضله بسوابغ النعم ، الموعد من عصاه بأليم العقاب والنقم، مخرج الخلائق بلطف صنعه الى الوجود من العدم ، مقدر الادواء ومنزل الدواء بأتم الصنع وأتقن الحكم ، وأشهد ان لا إله الا الله شهادة خالصة بوفاء الذمم ، مخلصة من مويقات الخطل والندم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم ، المرسل الى كافة العرب والعجم ، الذي أنار بلألاء نور مبعثه حنادس الظلم ، وأباد بسيف معجزه من تجبر وظلم ، وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم . صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما لمعت البروق وهمعت الديم ، وعلى آله أولي الفضل والكرم ، وعلى أصحابه الذين جعلوا شريعته لهم أمم ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين المبرآت من الدنس ، وشرّف وكرم .

وبعد ، فانه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع واربح البضائع ، وقد ورد تفصيلها في الكتب الالهية والأوامر الشرعية ، حتى جعل علم الابدان قريناً لعلم الاديان .وقد قالت الحكماء : ان المطالب نوعان : خير ولذة ، وهذان الشيئان انما يتم حصولها للانسان بوجود الصحة . لان اللذة المستفادة من هذه الدنيا ، والخير المرجو في الدار الاخرى ، لا يصل الواصل اليهما الا بدوام صحته وقوة بنيته . وذلك انما يتم بالصناعة الطبية لانها حافظة للصحة الموجودة، ورادّة للصحة المفقودة ، فوجب ، اذ كانت صناعة الطب من الشرف بهذا المكان وعموم الحاجة اليه داعية في كل وقت وزمان ، ان يكون الاعتناء بها أشد ، والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية أكد وأجد . وانه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث اصولها وتطلبها ، منذ أول ظهورها والى وقتنا هذا ، وكان فيهم جماعة من اكابر أهل هذه الصناعة ، واولي النظر فيها والبراعة ، ممن قد تواترت الاخبار بفضلهم ، ونقلت الآثار بعلو قدرهم ونبلهم ، وشهدت لهم بذلك مصنفاتهم ، ودلت عليهم مؤلفاتهم ، ولم اجد لأحد من أربابها ولا من انعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم على الولاء ، رأيت ان اذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ، ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم واوقاتهم ، وان اودعه ايضاً نبذاً من اقوالهم وحكاياتهم، ونوادرهم ومحاوراتهم، وذكر شيء من اسماء كتبهم ، ليستدل بذلك على ما خصهم

الله تعالى به من العلم ، وحباهم به من جودة القريحة والفهم ، فإن كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم ، وتفاوتت أوقاتهم ، فان لهم علينا من النعم فيما صنفوه ، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هـذه الصناعة ووضعوه ، ما هو تفضل المعلم على تلميذه والمحسن الى من أحسن اليه . وقـد أودعت هذا الكتاب أيضاً ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ، ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب ، وجملا مـن احوالهم ونوادرهم واسماء كتبهم ، وجعلت ذكر كل واحـد منهم في الموضع الأليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم .

فأما ذكر جميع الحكماء واصحاب التعاليم وغيرهم من ارباب النظر في سائر العلوم ، فاني اذكر ذلك ان شاء الله تعالى مستقصى في كتاب « معالم الامم ، واخبار ذوي الحكم » .

وأما هذا الكتاب الذي قصدت حينئذ الى تأليفه ، فاني جعلته منقسماً الى خمسة عشر باباً وسميته « كتاب عيون الأنباء في طبقات الاطباء » وخدمت به خزانة المولى الصاحب ، الوزير العالم العادل ، الرئيس الكامل ، سيد الوزراء ، ملك الحكماء ، إمام العلماء ، شمس الشريعة، امين الدولة ، كمال الدين، شرف الملة أبي الحسن بن غزال بن ابي سعيد أدام الله سعادته ، وبلغه في الدارين ارادته .

ومن الله تعالى استمد التوفيق والمعونة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وهذا عدد الابواب :

الباب الاول : في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها .

الباب الثاني : في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صنـاعة الطب وكانوا المبتدئين بها .

الباب الثالث : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس [1] .

الباب الرابع : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين اذاع أبقراط فيهم صناعة الطب .

الباب الخامس: في طبقات الاطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه .

الباب السادس: في طبقات الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في زمنهم من الاطباء النصارى وغيرهم.

الباب السابع : في طبقات الاطباء الذين كانوا في اول ظهور الاسلام من اطباء العرب .

الباب الثامن : في طبقات الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس .

الباب التاسع : في طبقات الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى

---

(١) هو إله الطب ابن ابولون . لم يرض فقط بشفاء المرضى ، كما تقول الخرافة ، بل احيا الموتى . وقد اثار ذلك جوبيتر فدمره بناء لرجاء اخيه بلوطون إله الجحيم الذي خاف ان تصبح مملكته صحراء . (ن . ر)

اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم .

الباب العـــاشر : في طبقات الاطباء العراقيين واطباء الجزيرة وديار بكر .

الباب الحادي عشر : في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد العجم .

الباب الثاني عشر : في طبقات الاطباء الذين كانوا من الهند .

الباب الثالث عشر : في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب واقاموا بها.

الباب الرابع عشر : في طبقات الاطباء المشهورين من اطباء ديار مصر.

الباب الخامس عشر : في طبقات الاطباء المشهورين من اطباء الشام .

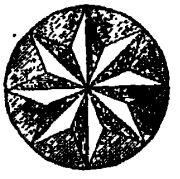

الباب الأول

كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها

اقول : ان الكلام في تحقيق هذا المعنى يعسر لوجوه :

أحدها بُعد العهد به ، فان كل ما بعد عهده وخصوصاً ما كان من هذا القبيل ، فان النظر فيه عسر جداً .

الثاني : اننا لم نجد للقدماء والمتميزين وذوي [1] الآراء الصادقة قولاً واحداً سادا في هذا متفقاً عليه فنتبعه .

الثالث : ان المتكلمين في هذا لما كانوا فرقاً وكانوا كثيري الاختلاف جداً بحسب ما وقع الى كل واحد منهم ، أشكل [2] التوجيه في أي اقوالهم هو الحق .

وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب الايمان لابقراط ، ان البحث فيما بين القدماء عن اول من وجد صناعة الطب لم يكن بحثاً يسيرا . ولنبدأ اولاً باثبات ما ذكره مع ما الحقناه به في جهة الحصر لهذه الآراء المختلفة .

وذلك ان القول في وجود صناعة الطب ينقسم الى قسمين أولين : فقوم يقولون بقدمه ، وقوم يقولون بحدوثه .

فالذين يعتقدون حدوث الاجسام يقولون ان صناعة الطب مُحْدثة ، لأن الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة .

---

١ – سديداً ومصيباً – ٢ – التبس (ن . ر)

والذين يعتقدون القِدَم، يعتقدون في الطب قِدَمه . ويقولون أن صناعة الطب قديمة لم تزل مذ كانت ، كاحد الاشياء القديمة لم تزل ، مثل خلق الانسان .

واما اصحاب الحدوث فينقسم قولهم الى قسمين ، فبعضهم يقول ان الطب خُلق مع خَلق الانسان ، اذ كان من احد الاشياء التي بها صلاح الانسان . وبعضهم يقول وهم الجمهور ان الطب استخرج بعد . وهؤلاء ايضاً ينقسمون قسمين : فمنهم من يقول ان الله تعالى الهمها الناس ، واصحاب هذا الرأي على ما يقوله جالينوس وابقراط وجميع اصحاب القياس وشعراء اليونانيين .

ومنهم من يقول ان الناس استخرجوها . وهؤلاء قوم من اصحاب التجربة واصحاب الحيل وناسلس المغالط وفيلن ، وهم ايضاً مختلفون في الوضع الذي به استخرجت وبماذا استخرجت . فبعضهم يقول ان اهل مصر استخرجوها ،ويصححون ذلك من الدواء المسمى باليونانية الأنى وهو الراسن [1] وبعضهم يقول ان هرمس [2] استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب ، وبعضهم يقول ان اهل فولوس استخرجوها من الادوية التي ألفتها القابلة لامرأة الملك فكان بها برؤها ، وبعضهم يقول ان اهل موسيا وأفروجيا استخرجوها ، وذلك ان هؤلاء اول من استخرج الزّمر ، فكانوا يشفون بتلك الالحان والايقاعات آلام النفس ، ويشفي آلام النفس ما يشفى به البدن . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الحكماء من اهل قو ، وهي الجزيرة التي كان بها ابقراط وآباؤه ، واعني آل اسقليبيوس .

وقد ذكر كثير من القدماء ان الطب ظهر في ثلاث جزائر في وسط الاقليم الرابع احداها تسمى رودس[3] والثانية تسمى قنيدس[4] ، والثالثة تسمى قو[5] ، ومن هذه كان ابقراط .

وبعضهم يرى ان المستخرج لها الكلدانيون . وبعضهم يقول ان المستخرج لها السحرة من اهل اليمن . وبعضهم يقول بل السحرة من بابل أو السحرة من فارس . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الهند ، وبعضهم يقول ان المستخرج لها اهل أقريطش[6] ، الذين ينسب لافتيمون اليهم ،وبعضهم يقول اهل طورسينا [7] .

فالذين قالوا ان الطب من الله تعالى ، قال بعضهم : هو إلهام بالرؤيا . واحتجوا بان جماعة رأوا في الاحلام أدوية استعملوها في اليقظة فشفتهم من امراض صعبة ، وشفت كل من استعملها .

---

١ – القنس . قال في الفيروزابادي وهو نبات طيب الرائحة ينفع في جميع الآلام والارجاع الباردة والماليخوليا ووجع الظهر والمفاصل . جلاء مفرح ملين مقو للقلب والمعدة بالعسل لعوق ، جيد للسعال وعسر التنفس ، يذهب الغيظ ويبعد من الآفات . (وفارسيته الراسن)

٢ – هرمس هو الاسم اليوناني لمركيور بن جوبيتر ، رسول الآلهة . وهو ايضاً إله الفصاحة والتجارة واللصوص .

٣ – جزيرة شرقي الارخبيل اليوناني ٤ – جزيرة صغيرة في الدوديكانيز ٥ – جزيرة في بحر ايجه موطن ابقراط والرسام آبل .

٦ – او كريت جزيرة يونانية في المتوسط اشتهرت بمدنيتها القديمة . ٧ – بلدة واقعة في شبه جزيرة سيناء .

وقال قوم الهمها الله تعالى بالتجربة ثم زاد الامر في ذلك وقوي ، واحتجوا ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم ، مبتلاة بالغنظ [1] والدرد ، [2] ومع ذلك فكانت ضعيفة المعدة ، وصدرها مملوء اخلاطاً رديئة ، وكان حيضها محتبساً ، فاتفق لها ان أكلت الراسن مراراً كثيرة بشهوة منها له ، فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها ، وجميع من كان به شيء مما كان بها لما استعمله بَرَأَ بِهِ ، فاستعمل الناس التجربة على سائر الاشياء .

والذين قالوا ان الله تعالى خلق صناعة الطب ، احتجوا في ذلك بانه لا يمكن في هذا العلم الجليل ان يستخرجه عقل انسان ، وهذا الرأي هو رأي جالينوس ، وهذا نص ما ذكره في تفسيره لكتاب الايمان لابقراط ، قال :

« واما نحن فالاصوب عندنا والاولى ان نقول ان الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب والهمها الناس ، وذلك انه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل ان يدركه عقل الانسان ، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذي هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه ، وذلك انا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التي يرون أن استخراجها كان من عند الله تبارك وتعالى ».

ووجدت في كتاب الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران [3] الذي وسمه ببستان الاطباء وروضة الالباء ، كلاماً نقله عن ابي جابر المغربي وهو هذا ، قال :

« سبب وجود هذه الصناعة وحي والهام ، والدليل على ذلك ان هذه الصناعة موضوعة للعناية باشخاص الناس ، إما لان تفيدهم الصحة عند المرض ، واما لان تحفظ الصحة عليهم . وممتنع ان تعني الصناعة بالاشخاص بذاتها دون ان تكون مقرونة بعلم امر هذه الاشخاص التي خصت العناية بها .ومن البيّن ان الاشخاص ذوات مبدأ [4] لوقوعها تحت العدد «وكل معدود فأوله واحد تكثّر ،ولا يجوز ان تكون اشخاصُ الناس الى ما لا نهاية له لأن خروج ما لا نهاية له الى الفعل محال » قال ابن المطران: ليس كل ما لا يقدر على حصره فلا نهاية له ، بل قد تكون له نهاية يضعف عن حصرها .

قال ابوجابر: « واذا كانت الاشخاص التي لا تقوم هذه الصناعة إلا بها ذوات مبدأ ضرورة ،فالصناعة ذات مبدأ ضرورة . ومن البين ان الشخص الذي هو اول الكثرة مفتقر اليها كافتقار سائرهم . ومن البين ايضاً انه لا يأتي من اول شخص وجد علم هذه الصناعة استنباطاً لقصر عمره وطول الصناعة ، ولا يجوز ان يجتمعوا في مبدأ الكثرة على استنباطها من اجل ان الصناعة متقنة محكمة . وكل أمر متقن لا يستنبط بالاختلاف بل بالاتفاق . والاشخاص التي

---

١ – الكرب والهم الملازم ٢ – ذهاب الاسنان او تكسرها .

٣ – هو الحكيم الامام سيد الحكماء وارحد العلماء نشأ في دمشق وله تصانيف كثيرة

٤ – اي ذوات اصل (ن . ر)

هي أول في الكثرة لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، من أجل ان كل شخص لا يساوي كل شخص من جميع الجهات . واذا لم تتساو من جهة آرائها لم يجز ان تجتمع على امر محكم .

قال ابن المطران :«هذا يؤدي ايضاً في باقي العلوم والصناعات الى انها إلهام، لانها ذوات اتقان ايضاً» وقوله ايضاً ان الاشخاص لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، ليس بشيء [1] ، بل اجتماعها لا يكون إلا على أمر متقن . وانما الاختلاف يقع مع عدم الاتقان .

قال ابو جابر : « فقد بان ان الاشخاص في مبدأ الكثرة لا يتأتى منها استنباط هـذه الصناعة ، وكذلك عند نهاية الكثرة لتباينهم وافتراقهم ، ووقوع الخلف بينهم » .

ونقول ايضاً : يجوز ان يشك شاك فيقول: هل يتأتى عندك ان يعرف انسان من الناس او كثير منهم ،منابت الحشائش والعقاقير ، ومواضع المعادن وخواصها ، وقوى اعضاء سائر الحيوان وخواصها ومضارها ومنافعها ويعرف سائر الامراض والبلدان واختلاف امزجة أهلها مع تفريق ديارهم ؟ ويعرف القوة التي يلتجها تركيب الادوية ، وما يضاد قوة قوةٍ من قوى الادوية ، وما يلائم مزاجاً مزاجاًوما يضاده ، مع ما يتبع ذلك من سائر صناعة الطب فان سهل ذلك وهونه كذب ، وان صعب أمره في علمه من جهة المعرفة قلنا استنباطه ممتنع.واذا لم يكن للصناعة الطبية لابتدائها الا الاستنباط أو الوحي او الالهام،وكان لا سبيل الى استنباط هذه الصناعة بقي ان تكون موجودة بطريق الوحي والالهام .

قال ابن المطران : « هذا كلام مشوش كله مضطرب ، وان كان جالينوس قال في تفسير« المهد »: ان هذه الصناعة وحيية إلهامية . وقال فلاطن في كتـــاب « السياسة أن اسقليبيوس كان رجلاً مؤيداً ملهماً ».

لكن تبعيد حصول هذه الصناعة باستنباط العقول خطأ ، وتضعيف العقول التي استنبطت أجل من صناعة الطب.ولنتزل ان أول العالم كان واحداً محتاجاً الى صناعة الطب كحاجة هذا العالم الجم الغفير اليوم ، وانه ثقل عليه جسمه واحمرت عيناه واصابه علامات الامتلاء الدموي ، ولا يدري ما يفعل ، فاصابه من قوته الرعاف [2] فزال عنه ما كان يجده فعرف ذلك ، فعاوده في وقت آخر ذلك بعينه ، فبادر الى انفه فخدشه فجرى منه الدم فسكن عنه ما كان يجده ، فصار ذلك عنده محفوظاً يعلمه كل من وجده من ولده ونسله.ولطفت حواشي الصناعة حتى فتح العرق بلطافة ذهن ورقة حس .

ولو تزلنا لفتح العرق ، ان آخر ، ممن هذه صفته ، انجرح او انخدش فجرى منه الدم فكان له ما ذكرنا من النفع ، ولطفت الاذهان في استخراج [3] الفصد ، جاز فصار هذا باباً من الطب . وآخر امتلأ من الطعام امتلاء مفرطاً فأصابه من طبيعته أحد الاستفراغين، أما القيء واما الاسهال بعد غثيان [4]

---

(١) ليس بما يصح ان يعلم ويخبر عنه .
(٢) الدم يخرج من الأنف .
(٣) تفجير الدم من العرق . (٤) جيشان النفس واندفاعها للقيء (ن. ر)

وكرب [1] ، وقلق وتهوع [2] ومغص وقراقر [3] وريح جوالة في البطن ، فعند ذلك الاستفراغ سكن جميع ما كان يجده . وقد كان آخر من الناس عبث ببعض البتوعات [4] فمغصه ، فأسهله وقيأه اسهالاً وقيئاً كثيراً ، وصارت عنده معرفةان هذه الحشيشة تفعل هذا الفعل ، وان هذا الحادث مخفف لتلك الاعراض مزيل لها ، فذكره لذلك الشخص ، وحثه على استعمال القليل منه لمـــا تعوق عليه القيء والاسهال ، وصعبت عليه الاعراض فأداه الى غرضه منهما ، وخفف عنه مـــا لقي من شر تلك الاعراض . ولطفت الصناعـــة ورقت حواشيهـــا ، ونظرت في باقي الحشائش الشبيهة بتلك، ما منها يفعل ذلك ، وما منها لا يفعله ، وما منها يفعله بعنف ، وما منها يفعله بضعف. وجاء صفاء العقول فنظر في الدواء الذي يفعل ذلك اي الطعوم طعمه ، واي الكيفيات يسبق الى اللسان منه ، وايها يتبعها ، فجعل ذلك سباره [5] ويستخرج منه . واعانته التجربة واخرجت مـا وقع له من القول الى الفعل ، وكذبت ما غلط فيه ، وصححت ما حدس [6] عليه حدساً صحيحاً ، حتى اكتفى من ذلك . واذا نزلت ان مسهولاً [7] لا يعلم أي الأدوية وأي الاغذية ينفعه أو يضره ، استعمل بالاتفاق سماقاً في غذائه فانتفع به ودام عليه فأبرأه ، فأحب ان يعلم بماذا أبرأه ، فتطعمه فوجده حامضاً قابضاً، فعلم أنه لا يخلو من ان يكون حمضه نفعه او قبضه ، فذاق غيره مما فيه حموضة محضة فقط ، واستعمله في غيره ممن به مثل ما كان به ، فوجده لا يفيده مـــا أفاده هو ، فعمد الى شيء آخر طعمه قابض فقط ، فاستعمله في ذلك الشخص بعينه ، فوجد فائدته فيه أكثر من فائـدة الحامض المطلق، فعلم ان ذلك الطعم مفيد في تلك الحالة وسماه قابضاً ، وسمى ذلك استفراغاً ، وقال أن القابض ينفع من الاستفراغ .

« ولطفت الصناعة ورقت حواشيها في ذلك ، حتى استخرجت العجائب ، واستنبطت البدائع . وأتى الثاني فوجد الاول وقد استخرج شيئاً جرّبه فوجده حقاً ، فاحتفظ به وقاس عليه ، وتمم حتى استكملت الصناعة . ولو نزلنا بمجيء مخالف وجدنا كثيرين موافقين ، واذا غلط متقـــدم سدد متأخر ، واذا قصّر قديم تمّم محدث . هكذا في جميع الصناعات ، كذا الغالب على ظني .

قال :قال حبيش [8] الاعسم : ان رجلاً اشترى كبداً طرية من جزار ومضى الى بيته ،فاحتاج ان ينصرف في حاجة اخرى ، فوضع تلك الكبد التي كانت معه على اوراق نبـــات مبسوطة كانت على وجه الارض ، ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبد فوجدها قد ذابت وسالت دماً فأخذ تلك الاوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلف حتى فطن به وأمر بقتله .

---

(١)الحزن يأخذ بالنفس (٢) التقيؤ بتكلف(٣) واحدها قرقرة وهي صوت البطن.

(٤) واحدها يتوع ويتثوع : كل نبات له لبن دار مسهل محرق مقطع وكل البتوعات اذا استعملت على غير وجهها اهلكت.

(٥) السبار : فتيلة تجعل في الجرح (٦) توهم وظن وضمن (٧) مصاباً بالاسهال

(٨) عاش في ايام المتوكل وبعده اي في القرن التاسع . ونقل الى العربية قسم بقراط والمياه لبقراط ، وكتاب الفواكه لجالينوس ولديوسقوريدس (ن ر) .

أقول : هذه الحكاية كانت في وقت جالينوس . وقال انه كان السبب في مسك ذلك الرجل وفي توديته الى الحاكم حتى أمر بقتله .

قال جالينوس : وأمرت ايضاً في وقت مروره الى القتل ان تشد عيناه حتى لا ينظر الى ذلك النبات ، او ان يشير الى احد سواه فيتعلمه منه . ذكر ذلك في كتابه في الادوية المسهلة .

وحدثني جمال الدين النقاش السعودي ان في لحف الجبل الذي باسعرد ، على الجانب الآخر منه قريباً من الميدان ، عشباً كثيراً . وان بعض الفقراء من مشايخ اهل المدينة اتى الى ذلك الموضع ، ونام على نبات هناك ، ولم يزل نائماً الى ان عبر عليه جماعة ، فوجدوه كذلك ، وتحته دماً سائحاً من انفه ومن ناحية المخرج ، فأنبهوه وبقوا متعجبين من ذلك ، الى ان ظهر لهم انه من النبات الذي نام عليه . واخبرني انه خرج الى ذلك الموضع ورأى ذلك النبات ، وذكر من صفته انه على شكل الهندبا[1] غير انه مشرف الجوانب ، وهو مر المذاق . قال:وقد شاهدت كثيراً ممن يدنيه الى أنفه ويستنشقه مرات ، فانه يحدث له رعافاً في الوقت . هذا ما ذكره ، ولم يتحقق عندي في أمر هذا النبات ، هل هو الذي أشار اليه جالينوس أو غيره .

قال ابن المطران : فأقول حينئذ ان النفس الفاضلة المفيدة للخير ، نَظَرت حينئذ فعلمت . وكما ان الدواء فعل ذلك الفعل ، فلا بد وأن يكون خلق دواء آخر ينفع هذا العضو ، ويقاوم هذا الدواء ، ففتش عليه بالتجربة ، ولم يزل يطلب في كل يوم أو في كل وقت حيواناً فيعطيه الدواء الاول ثم الثاني ، فان دفع ضرره فقد حصل مراده ، وان لم ينفع فيه طلب غيره ، حتى وقع على ذلك الدواء . وفي استخراج الترياق اعظم دليل على ما قلت ، اذ لم يكن الترياق سوى حب الغار وعسل ، ثم صار الى ما صار اليه من الكثرة والنفع ، لا بوحي ولا الهام ، ولكن بقياس وصفاء عقول وفي مدد طويلة . »

فان قلت : من أين علم ان الدواء لا بد له من ضد . قلنا : انهم لما نظروا الى قاتل البيش[2] ، وهو نبات يطلع فاذا وقع على البيش جففه وأتلفه ، علموا ان مثله في غيره فطلبوه . والعالم الفطن يقدر على علم كيفية استخراج شيء من المعلومات اذا نظر فيه ، على قياسنا الذي وضعناه له . وقد عمل جالينوس كتاباً في كيف كان استخراج جميع الصناعات ، فما زاد فيه على النحو الذي ذكرنا .

اقول : وانما نقلنا هذه الآراء التي تقدم ذكرها على اختلافها وتنوعها ، لكون مقصدنا حينئذ ان نذكر جل ما ذهب اليه كل فريق . ولما كان الخُلف والتباين في هذا على ما ترى صار طلب أوله

---

(١) بقل معروف يؤكل .

(٢) نبات كالزنجبيل رطباً ويابساً وفيه سم قتال لكل حيوان وترياقه فأرة البيش وهي فأرة تتغذى به . (ن.ر)

عسراً جداً . إلا ان الانسان العاقل اذا فكر في ذلك بحسب معقوله ، فانه يجد صناعة الطب لا يبعد ان تكون أوائلها قد تحصلت من هذه الاشياء التي قد تقدمت أو من اكثرها . وذلك انا نقول ان صناعة الطب أمر ضروري للناس منوطة بهم حيث وجدوا ومتى وجدوا ، إلا انها قد تختلف عندهم بحسب المواضع وكثرة التغذي وقوة التمييز ، فتكون الحاجة اليها أمسّ عند قوم دون قوم . وذلك انه لما كانت بعض النواحي قد يعرض فيها كثيراً امراض ما لاهل تلك الناحية ، وخصوصاً كلما كانوا اكثر تنوعاً في الاغذية ، وهم ادوم اكلا للفواكه ، فان ابدانهم تبقى متهيئة للأمراض ، وربما لم يفلت منهم أحد في سائر اوقاته من مرض يعتريه ، فيكون امثال هؤلاء مضطرين الى الصناعة الطبية اكثر من غيرهم ، ممن هم في نواحي أصح هواء ، وأغذيتهم أقل تنوعاً ، وهم مع ذلك قليلو الاغتذاء بما عندهم . ثم ان الناس ايضاً لما كانوا متفاضلين في قوة التمييز النطقي ، كان انتهم تمييزاً وأقواهم حنكة ، وافضلهم رأياً أدرك وأحفظ لما يمر بهم من الامور التجريبية وغيرها ، لمقابلة الأمراض بما يعالجها به من الأدوية دون غيره . فاذا اتفق في بعض النواحي ان يكون أهلها تعرض لهم الامراض كثيراً ، وكان فيهم جماعة عدة بمثابة من أشرنا اليه اولاً فانهم يتسلطون بقوة ادراكهم وجودة قرائحهم ، وبما عندهم من الامور التجريبية وغيرها على سبيل المداواة ، فيجتمع عندهم على الطول اشياء كثيرة من صناعة الطب .

ولنذكر حينئذ اقساماً في مبدئية هذه الصناعة بقدر الممكن ، فنقول :

القسم الاول

ان احد الأقسام في ذلك انه قد يكون حصل لهم شيء منها عن الانبياء والاصفياء ، عليهم السلام ، بما خصهم الله تعالى به من التأييد الالهي .

روى ابن عباس [1] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

كان سليمان بن داودَ عليهما السلام ، اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيسألها ما اسمك ؟ فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت .

وقال قوم من اليهود :ان الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام سفر الأشفية .

والصابئة [2] تقول:ان الشفاء كان يؤخذ من هيا كلهم على يد كهانهم وصلحائهم ، بعض بالرؤيا

---

(١) ابن عم النبي . ولد قبل الهجرة . ولقب حبر الامة . وهو من رواة الحديث المشهورين . ناصر عليا ثم والى الامويين وتوفي في الكوفه سنة ٦٨٨ .

(٢) قوم يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام . وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار .

ربعض بالالهام . ومنهم من قال انه كان يوجد مكتوباً في الهيا كل لا يعلم من كتبه ، ومنهم من قال انها كانت تخرج يد بيضاء مكتوب عليها الطب ، ونقل عنهم ان شيث [1] اظهر الطب ، وانه ورثه عن آدم ، عليهما الصلاة والسلام .

فأما المجوس فانها تقول ان زرادشت [2] الذي تدعي انه نبيهم ، جاء بكتب علوم أربعة زعموا انها جلدت باثني عشر الف جلد جاموس ، الف منها طب .

وأما نبط [3] العراق والسورانيون والكلدانيون والكسدانيون وغيرهم من أصناف النبط القدم ، فيدّعى لهم انهم اكتشفوا مبادىء صناعة الطب . وان هرمس [4] الهرامسة المثلث بالحكمة كان بينهم ويعرف علومهم ، فخرج حينئذ الى مصر وبث في اهلها العلوم والصنائع ، وبنى الاهرام والبرابي [5] ثم انتقل العلم منهم الى اليونانيين .

وقال الامير أبو الوفاء المبشر بن فانك [6] في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » ؛ « ان الاسكندر [7] لما تملك مملكة دارا [8] ، واحتوى على فارس ، أحرق كتب دين المجوسية وعمد الى كتب النجوم والطب والفلسفة ، فنقلها الى اللسان اليوناني وانفذها الى بلاده ، واحرق اصولها .

وقال الشيخ ابو سليمان المنطقي [9]: قال لي ابن عدي : ان الهند لهم علوم جليلة من علوم الفلسفة ، وانه وقع اليه ان العلم من ثمّ وصل الى اليونانيين . وقال الشيخ ابو سليمان : ولست ادري من اين وقع له ذلك .

وقال بعض علماء الاسرائيليين انالذي استخرج صناعة الطب يوقال بن لامخ بن متوشالخ

---

(١) ثالث ابناء آدم وحواء

(٢) ولد في بلاد مادي وهو مصلح الديانة القديمة في ايران ومنشىء الماجوسية (٦٦٠ - ٥٨٣ ق م)

(٣) قوم من العرب كانوا من التجار وكان بينهم شعراء واطباء . عبدوا الاصنام ومنها اللات .

(٤) هو الاسم اليوناني للاله المصري طوت . وهو من حكماء مصر (ق . م)

(٥) ابنية عجيبة في مصر فيها تماثيل وصور .

(٦) هو الامير محمود الدولة ابو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري لازم علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكمية .

(٧) ملك مقدونيا ولد سنة ٣٥٦ ق م وتتلمذ على ارسطوطاليس ، قهر جيوش داريوس واخضع صور وصيدا ومصر فبنى الاسكندرية ثم عبر دجلة والفرات واستولى على بابل . واراد التقدم ايضاً ولكن المقدونيين رفضوا التقدم فرجع الى بابل حيث مات بالحمى وكان له من العمر ٣٣ سنة

(٨) هو دارا الثالث الذي ملك الفرس (٣٣٦ - ٣٣٠ ق م) وانتصر عليه الاسكندر في موقعة آسيا الصغرى سنة ٣٣٤ ق م . وفي معركتي ايسوس واربيل (مدينة في آشور القديمة) وباغتياله انتهت الامبراطورية الفارسية .

(٩) هو ابو سليمان السجستاني المنطقي اجتمع بيحيى بن عدي واخذ عنه وكان الى جانب تعمقه في العلوم الحكمية أديباً وشاعراً . (ن . ر).

القسم الثاني

ان يكون قد حصل لهم شيء منها بالرؤيا الصادقة، مثل ما حكى جالينوس في كتابه في الفصد، من فصده للعرق الضارب الذي أمر به . وذلك انه قال :

« اني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري الى ان انقطع من تلقاء نفسه ، لأني كذلك أمرت في منامي . فكان ما جرى أقل من رطل[1] ، فسكن عني بذلك على المكان وجع كنت أجده قديماً في الموضع الذي يتصل به الكبد بالحجاب . وكنت في وقت ما عرض لي هذا غلاماً . قال : وأعرف انساناً بمدينة فرغامس ، شفاه الله تعالى من وجع مزمن كان به في جنبه ، بفصد العرق الضارب من كفه ، والذي دعا ذلك الرجل الى ان يفعل ذلك رؤيا رآها » .

وقال في المقالة الرابعة عشرة من كتابه « في حيلة البرء » : « قد رأيت لساناً عظم وانتفخ حتى لم يسعه الفم ، وكان الذي أصابه ذلك رجلاً لم يعتد اخراج الدم قط ، وكان من ابنـــاء ستين سنة ، وكان الوقت الذي رأيته فيه اول مرة الساعة العاشرة من النهار ، فرأيت انه ينبغي لي ان أسهله بهذا الحب الذي قد جرت العادة باستعماله، وهو الحب المتخذ بالصبر [2] والسقمونيا [3] وشحم الحنظل [4]، فسقيته الدواء نحو العشاء ، واشرت عليـــه ان يضع على العضو العليل بعض الاشياء التي تبرّد . وقلت له افعل هذا حتى انظر ما يحدث ، فاقدر المداواة على حسبه . ولم يساعدني على ذلـك رجل حضره من الاطباء ، فبهذا السبب أخذ الرجل ذلك الحب ، وتأخر النظر في امر ما يداوي به العضو نفسه الى الغد .. وكنا نطمع جميعاً ان يكون قد تبين فيه حسن أثر الشيء الذي يداوى به ونجربه عليه . اذ كان فيه يكون البدن قد استفرغ كله ، والشيء المنصب الى العضو قـد انحدر الى اسفل .

---

(١) ثقل يوزن به وهو على نوعين : الرطل الشرعي وهـو ١٢٨ ١/٧ الدرهم ويعادل بالغرام : ٣٠٩،٢٨١؛ والرطل العراقي وهو ١٣٠ درهماً ، يعادل : ٣١٢،٧١٨ غ . وهو غير الرطل الشامي المعروف والذي يزن اقتين ويعادل : ٢٥٦٥،٨٩٠غ « ن . ر »

(٢) الصبر : عصارة شجر مر . وجاء في معجم الشهابي : جنس نباتات من فصيلة الزنبقيات تنبت في البلاد الحارة ، منها انواع تزرع في الحدائق للتزيين ، واخرى كالصبر السقطري (نسبة الى جزيرة سقطرى) يستخرجون من اوراقهـــا اللحمية عصارة واتنجية مرة تستعمل في الطب للاسهال « ن . ر » .

(٣) Convulvulus scammonia (المفردات) : نوع من النباتات العشبية والنصف خشبية معظمها معترش من فصيلة اللبلاب ، يستخرج منه صمغ راتينجي شديد الاسهال (ن.ر)

(٤) نبات معترش ثمرته بحجم البرتقالة والمختار منه اصفره ، وشحمه يسهل البلغم الغليظ المنصب في المفاصل شرباً او الفاء في الحقن . نافع للمالنخوليا والصرع والوسواس وداء الثعلب والجذام ، ومن لسع الافاعي والعقارب ، ولوجع السن تبخراً بحبة ، ولقتل البراغيث رشاً بطبخه ، وللنسا دلكاً بأخضره (ن.ر)

ففي ليلته رأى في حلمه رؤيا ظاهرة بينة ، فحمد مشورتي واتخذ مشورتي مادة في ذلـــك الدواء ، وذلك انه رأى النائم آمراً يأمره بان يمسك في فيـــه عصارة الخس ، فاستعمل هـــذه العصارة كما امره وبرأ برءاً تاماً ، ولم يحتج معها الى شيء آخر يتداوى به » .

وقال في شرحه لكتاب « الايمان » لابقراط : « وعامة الناس يشهدون على ان الله تبارك وتعالى هو الملهم لهم صناعة الطب من الاحلام والرؤيا التي تنقذهم من الامراض الصعبة . من ذلك انا نجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم اتاهم الشفاء من عنـــد الله تبارك وتعالى ، بعضهم على يد سارافس [1] ، وبعضهم على يد اسقليبيوس بمدينة أفيداروس ومدينة قو ومدينة فرغامس ، وهي مدينتي .

وبالجملة فقد يوجد في جميع الهياكل التي لليونانيين وغيرهم من سائر النـــاس ، الشفاء من الامراض الصعبة التي تأتي بالاحلام وبالرؤيا .

وأريباسيوس يحكي في كناشه الكبير ان رجلاً عرض له في المثانة حجر عظيم . قال : وداويته بكل دواء مستصلح لتفتيت الحجر ، فلم ينتفع البتة وأشرف على الهلاك . فرأى في النوم كأن انساناً اقبل عليه وفي يده طائر صغير الجثة ، وقال له ان هذا الطائر اسمه صفراغون [2] ، ويكون بمواضع السباحات والآجام ، فخذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم من هذه العلة . فلما انتبه فعل ذلك ، فاخرج الحجر من مثانته متفتتاً كالرماد ، وبَرَأَ برءاً تاماً .

ومما حصل ايضاً من ذلك بالرؤيا الصادقة ان بعض خلفـــاء المغرب مرض مرضاً طويلا ، وتداوى بمداواة كثيرة فلم ينتفع بها ، فلما كان في بعض الليالي رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في نومـــه وشكى اليه ما يجده ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ادهن بلا ، وكل لا ، تبرأ ، فلما انتبه من نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم ما معناه . فسأل المعبرين [3] عنه ، فكل منهم عجز عن تأويله ، ما خلا علي بن ابي طالب القيراوني ، فانه قال يا امير المؤمنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، امرك ان تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ . فلما سأله من اين له معرفة ذلك . قال من قول الله عز وجل : من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » . فلما استعمل ذلك صلح به وبرأ برءاً تاماً .

ونقلت من خط علي بن رضوان [4] ، في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب ما هذا نصه :

---

(١) الله مصري من عصر بطليموس والرومان ، تولد عن اختلاط اوزيريس آبيس مع اله غريب عن مصر . واخـــيراً اصبح سارافس مشابهاً لباوطون واسقليبيوس وجوبيتر .

(٢) بالافرنجية Troglodyte وهو الوصع : طائر صغير جداً هو اصغر العصافير في العالم القديم واسمه في الشام زكزكه وسكسوكه . وقال الرازي في كتاب الوافي : انه عصفور صغير اصغر من جميع العصافير ، اكثر ما يظهر في الشتاء ، لونه بين الرماد والصفرة ، وفي جناحيه ريش ذهبي ، ومنقاره دقيق ، وفي ذنبه نقط بيض . له حركات دائمة ، وهو دائم الصفير قليل الطيران . وقال الحاوي انه يسمى بالافرنجية صفراعون . (ن.ر)

(٣) المفسرين .

(٤) علي بن رضوان المصري ولد في الجيزة سنة ١٠٦٨ وكان مبصراً على الطرقات ثم تعلم الطب واصبح طبيب الخليفـــة الحاكم بامر الله هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ولد في مصر بالجيزة ونشأ بمدينة مصر وكان ابوه فراناً . وأكب ←